



حتى تعود أم الصبي

ليست فلسطين غريبة عن القلق، لكن ما يأتي منها في هذه الايام يذهب ابعد من القلق الذي اعتدناه. فعلى رغم الاختراق المهم الذي تمثله وثيقة جنيف الموقعة بين وفد فلسطيني برئاسة ياسر عبد ربه ووفد من "حمائم" حزب العمل بقيادة يوسي بيلين، تبدو السياسة الفلسطينية كأنها فقدت هذا الخيط الرفيع الذي كان يحكم انتظامها، فباتت الساحة ملك كل من اعتقد امتلاك جزء من الجواب. ولعل ما سمي "عسكرة الانتفاضة" كان العامل الاساس في غياب هذا الخيط الناظم. فعلى رغم كل ما قيل في بداية الانتفاضة، سواء علناً على السنة الاسرائيليين أو همساً على السنة الفلسطينيين، حول قدرة القيادة، وتحديداً الرئيس ياسر عرفات، على الامساك بمقالييد العمل العسكري، ظهر مراراً ان هذه القدرة المفترضة على التحكم لا تحول دون مبادرات ميدانية، عفوية او منظمة، تفضي الى احراج السلطة. ثم ان الحصار الذي يواجهه الرئيس عرفات منذ نحو ثلاث سنوات قد اضعف من دون شك قدرته على التحكم بكل عمل عسكري، وان يكن لا يزال قادراً على ضبط الايقاع العام للمقاومة.

كذلك، فإن الالتباس (المتعمد؟) الذي يحوط "كتائب شهداء الاقصى" انتهى الى اعطاء صورة غير متماسكة عن الوضع الميداني، اذ بدت هذه الكتائب اكثر من مرة كأنها تعمل بمعزل عن الخط السياسي الذي يوجهها، من خرقها اوامر وقف اطلاق النار عند اول استفزاز، الى مشاركتها في عمليات انتحارية ضد تجمعات مدنية اسرائيلية. وكأنه لا يكفي ان التنظيمين الاكثر نشاطاً في العمليات الانتحارية، اي "حماس" و"الجهاد"، هما علناً خارج الخط السياسي المعتمد من السلطة الفلسطينية. وها هو المكنم الذي استهدف عناصر من وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية يؤكد ان هناك من ضيّع البوصلة في فلسطين. بل انه يؤكد ما هو اسوأ من ذلك، اي ان ليس هناك من يردع الذين يضيّعون البوصلة.

غني عن القول ان سقوط اميركيين في فلسطين ليس كسقوط اميركيين في العراق. فبمعزل عن السجال حول احقية العمليات المسلحة في العراق او عدم احقيتها، لا تماثل بين الوضعين. في فلسطين، ليست الولايات المتحدة القوة المحتلة. بل ان تدخلها كطرف ثالث مطلب فلسطيني ثابت منذ اعوام، رغم انحيازها المسبق الى المحتل. ثم ان اقامة علاقة مباشرة مع الولايات المتحدة كانت ولا تزال احد مفاتيح فك الحصار عن السلطة الفلسطينية. ولا بد من الاضافة في هذا المجال ان الـ"سي أي اي"، رغم ما تحمله هذه الاحرف الثلاثة في المخيلة العربية، كانت في الاعوام الاخيرة الجهاز الاميركي الاقل عدوانية للفلسطينيين.

طبعاً، ليس مستبعداً على الاطلاق ان يكون وراء هذا المكنم مناورة اسرائيلية، وسجل الصراع على ارض فلسطين وخارجها مليء باحداث من هذا النوع دبّرتها اسرائيل من اجل استغلالها سياسياً او عسكرياً، ويكفي هنا تذكّر التوظيف الاسرائيلي لمجموعة ابو نضال. وليس من الصعب تالياً تصوّر اختراق اسرائيلي لـ"لجان المقاومة الشعبية". غير ان هذا الاحتمال لا يخفّف من خطر الظاهرة التي ينمّ عنها المكنم ضد الاميركيين. فسواء أكانت العملية الاخيرة ثمرة تلاعب اسرائيلي ام وليدة عفوية



فلسطينية مغامرة ام نتيجة عدوى "قاعدية"، فانها تستدعي ردة فعل فلسطينية تذهب ابعد من ملاحقة المسؤولين المباشرين عنها لتطول مجمل الممارسة الميدانية للتنظيمات المسلحة. لكن مصدر القلق الاكبر هو ان الاطر السياسية قد لا تكون قادرة على مثل هذه المراجعة. فالحياة السياسية الفلسطينية لا تبدو افضل حالاً من الممارسات الميدانية (بالافتراض انه يمكن فصل هذين المجالين)، ولا بد لاي مراقب معني بمستقبل فلسطين من ان يرتاب من السجلات العقيمة التي رافقت ولادة حكومة محمود عباس فاستقالتها ومن تلك التي لا تزال ترافق ولادة حكومة احمد قريع. الظروف صعبة، لا ريب، ولكن متى كانت سهلة؟

ربما هي الشائعات التي كثرت عن صحة الرئيس عرفات. فحتى لو كانت مضخمة او باطلة، فإنها تفرع ناقوس الخطر. فالرئيس الفلسطيني، رغم قدرته شبه الخارقة على تجاوز المحن والصمود في اصعب الظروف، صار في عمر يفترض ان يأخذه في الحسبان كل من يرافقه. ليس على سبيل التحقز للخلافة، بل من اجل تحصين مسيرة الشعب الفلسطيني ضد الانعكاسات التي قد يتركها تراجع صحة عرفات. لكن الحلقة التي يفترض ان تكون الاكثر وعياً لذلك هي، ويا للأسف، احد مكامن الخلل. انها قيادة حركة "فتح"، وتحديداً لجنتها المركزية. ان تكون هناك مشكلة داخل "فتح" أمر لا يختلف عليه اثنان بعد فصول تأليف حكومتي عباس وقريع. ولعل وجود هذه المشكلة، وان يكن من الصعب وصفها بدقة، هو ما يفاقم التخبط ويغذي الشعور بان الخيط الناظم للسياسة الفلسطينية صار مفقوداً. اذ يعرف كل من تابع التاريخ الفلسطيني ان "فتح" ليست "ام الصبي" فحسب، بل هي قوة الثبات التي ان تعطلت تعطل معها مسار النضال الفلسطيني.

قد يكون الرئيس عرفات وجد مصلحة في لحظة من اللحظات في استغلال اللجنة المركزية لحركة "فتح" من اجل تأكيد مركزيته هو على الساحة الوطنية، في وجه المقاطعة الاميركية والحرب الاسرائيلية. لكن الامور ذهبت الآن ابعد مما يمكن ان تحتمله "فتح" ان شاءت ان تبقى "ام الصبي"، وكيف لا تشاء، فلا "صبي" من دونها، ولا وحدة وطنية من دون الخيط الرفيع الناظم الذي كانت ترسمه، ولا دولة ان هي هوت على قباي قوس من القدس. وعليه، فان مصلحة الرئيس عرفات اصبحت الآن ترميم "فتح" حتى تعود قادرة على الاضطلاع بدور لا يختصر بالتعطيل المؤسساتي، فنتصدى لخطر الشرذمة الذي يتهدد النضال الفلسطيني ربما اكثر مما تهدده حرب التدمير الاسرائيلية.

سمير قصير



Id-Reference	03-Pr-000707	
Media	(Support)	HC
Title		حتى تعود أم الصبي
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠٣/١٠/١٧ 17/10/2003
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	ياسر عبد ربه - يوسي بيلين - ياسر عرفات - احمد قريع - محمود عباس
	Locations	فلسطين - اسرائيل - ولايات متحدة - قدس
	Dates	
	Themes	فلسطين - صراع عربي اسرائيلي - انتفاضة - ولايات متحدة اميركية - اميركا - عسكرة انتفاضة - اسرائيل - سي.أي.أي - حركة جهاد - حركة حماس - حركة فتح - كتائب شهداء الأقصى - وثيقة جنيف - حزب عمل - مقاومة فلسطينية - مخبرات اميركية - مجموعة ابو نضال - لجان مقاومة شعبية - صحة عرفات - نضال فلسطيني
Subject		